عن ايراد الممرض على المصح وامره بالفرار من المجذوم ونهيه عن الدخول الى موضع الطاعون فانه
من باب اجتناب الاسباب التي خلقها الله وجعلها اسبابا للهلاك او الاذى والعبد مامور
باتقاء اسباب البلاء اذا كان في عافيه منها فكما انه مامور ان لا يلقي نفسه في الما وفي النار او
يدخل تحت الهدم ونحوه مما جرت العادة بانه يهلك او يوذي فكذلك اجتناب مقاربة
المريض كالمجذوم او القدوم على بلد الطاعون فان هذه كلها اسباب للمرض والتلف
والله تعالى هو خالق الاسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر غيره وقد روي في حديث
مرسل خرجه ابو داود في مراسيله ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بحايط مايل فاسرع وقال
اخاف موت الفوات وروي متصلا والمرسل اصح وهذه الاسباب التي جعلها الله اسبابا
يخلق المسببات بها كما دل عليه قوله تعالى حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت
فانزلنا به الما فاخرجنا به من كل الثمرات وقالت طايفه انه يخلق المسببات
عندها لا بها واما اذا قوي التوكل على الله والايمان بقضايه وقدره وقويت النفس على مباشرة
هذه الاسباب اعتمادا على الله ورجا منه ان لا يحصل به ضرر ففي هذه الحاله يجوز مباشرة
ذلك لاسيما اذا كان فيه مصلحة عامة او خاصة وعلى مثل هذا يحمل الحديث الذي خرجه
ابو داود والترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد مجذوم فادخلها معه في القصعه
ثم قال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه وقد اخذ به الامام احمد وقد روي نحو ذلك عن عمر
وابنه عبد الله وسلمان رضي الله عنهم ونظير ذلك ما روي عن خالد بن الوليد من اكل السم ومنه
مشي سعد بن ابي وقاص وابي مسلم الخولاني على متن البحر بالجيوش ومنه امر عمر لتميم حيث
خرجت النار من الحرة ان يردها فدخل اليها في الغار التي خرجت منه فهذا كله لا يصلح الا
لخواص من الناس قوي ايمانهم بالله وقضايه وقدره وتوكلهم عليه وثقتهم به ونظير ذلك
دخول المفاوز بغير زاد فانه يجوز لمن قوي يقينه وتوكله خاصة وقد نص عليه احمد واسحق
وغيرهما من الايمه وكذلك ترك التكسب والتطبب كل ذلك يجوز عند الامام احمد
لمن قوي توكله فان التوكل اعظم الاسباب التي تستجلب بها المنافع وتستدفع بها المضار
كما قال الفضيل لو علم الله منك اخراج المخلوقين من قلبك لاعطاك كل ما تريد

وبذلك

٢١

وبذلك فسر الامام احمد التوكل فقال هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين قيل له
فالحجة فيه قال قول ابرهيم عليه السلام لما القي في النار فعرض له جبريل فقال الك
حاجة قال اما اليك فلا فلا يشرع ترك الاسباب الظاهرة الا لمن تعوض عنها
بالسبب الباطن وهو تحقيق التوكل فانه اقوى من الاسباب الظاهرة لاهله وانفع
فالتوكل علم وعمل فالعلم معرفة القلب بتوحيد الله بالنفع والضر وعامة المومنين يعلم
ذلك والعمل هو ثقة القلب بالله وفراغه من كل ما سواه وهذا عزيز ويختص به خواص
المومنين والاسباب نوعان احدهما اسباب الخير والمشروع انه يفرح بها ويستبشر ولا يسكن
اليها بل الى خالقها ومسببها وذلك هو تحقيق التوكل على الله والايمان به كما قال تعالى في
الامداد بالملايكة وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله
ومن هذا الباب الاستبشار بالفال وهو الكلمة الصالحة يسمعها طالب الحاجة واكثر الناس
يركن بقلبه الى الاسباب وينسى المسبب لها وقل من فعل ذلك الا وكل اليها وخذل فان جميع
النعم من الله وفضله كما قال ما اصابك من حسنة فمن الله وقال وما بكم من نعمة فمن الله
لا نلت خيرا ما بقيت ولا عداني الدهر شر ان كنت اعلم ان غير الله
الله ينفع او يضر ولا تضاف النعم الى الاسباب بل الى مسببها ومقدرها كما
في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى بهم الصبح في اثر سما ثم قال اتدرون ما قال
ربكم الليلة قال اصبح من عبادي مومن وكافر فاما المومن فقال مطرنا بفضل الله ورحمته
فذلك مومن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر
وهذا مما يدل على ان المراد نفي تأثير هذه الاسباب بنفسها من غير اعتقاد انها بتقدير الله و
قضايه فمن اضاف شيا من النعم الى غير الله مع اعتقاده انه ليس من الله فهو مشرك حقيقة
ومع اعتقاده انه من الله فهو نوع شرك خفي والنوع الثاني اسباب الشر فلا تضاف
الا الى الذنوب لان جميع المصايب انما هي بسبب الذنوب كما قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت

تأثير صح

Copyright © King Saud University